من آثار الهجرة فى أرض الحبشة

إسلام النجاشي:

لقد سبق وقد تحدثنا عن إسلام النجاشي، فلا ضرورة تلجؤنا لكي نعيد الحديث مرة أخرى، ولكننا نود أن نلفت الانتباه إلى أن إسلام ملك الحبشة حدث في غاية الأهمية وأثر من آثار الهجرة المباركة التي قامت بها طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ في الصدر الأول من بعثته عليه السلام، وإن هذا ليس حدثاً عابراً، وليس إسلام ملك الحبشة في ذلك العهد إسلام فرد من عامة الناس دخل في هذا الدين كما دخل غيره في بلاد الحبشة في الإسلام. وإنما كان إسلامه بداية مرحلة جديدة غيرت مجرى الأمور في الحبشة في عهده، وعمقت معاني الإيمان والإسلام في غربي البحر الأحمر، ومنطقة القرن الأفريقي بصفة عامة.

لم يحدث إسلامه ثورة عنيفة وتغييرات جذرية سريعة قابلة للنجاح والفشل خلال لحظات أو أيام، وإنما أحدث تغييراً هادئاً هادفاً ظهرت آثاره تدريجياً عبر العقود والقرون التي تلت ذلك العصر، وأياً كانت سرعة انتشار الإسلام أو تباطئه، فإن الهجرة سجلت نجاحاً ملحوظاً بإسلام النجاشي وأصبح ذلك النجاح انطلاقة كبرى نحو آفاق جديدة فيما بعد.

ويتضح منهجه من خلال الدعوة والتغيير ومراعاة الظروف الاجتماعية التي يحسب لأعدائه حساباً دقيقاً وكان النجاشي يتعامل مع بيئته بحذر شديد بسبب معرفته الدقيقة، وخاصة مع القساوسة ذوي النفوذ القوي في الدول النصرانية في القرن السابع الميلادي والقرون التي تلته، فهذه إحدى مقالاته

التي تصور لنا همة ذلك الرجل وأسلوبه في التغيير بعد إسلامه، وعزمه على المضي في الطريق الشائك طريق الدعوة ونشر الإسلام.

يقول النجاشي رحمه الله تعالى لرسول رسول الله ﷺ: «أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب، وإن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وإن العيان ليس بأشفى من الخبر عنه، ولكن أعواني من الحبش قليل، فأنظرني حتى أكثر الأعوان، وألين القلوب»[1].

إن النجاشي يدرك كل الإدراك مدى الصعوبة البالغة والعقبات الكثيرة أمام الدعوة، ورغم هذا يؤكد جديته في نشر الإسلام ومدرك واجباته تجاه دينه الإسلامي ونشره بين الأحباش، لقد أخبر النجاشي بوجود اتباع له ولكنهم قليلون وهم غير قادرين على مواجهة المشكلات، ومن الواضح من خلال تصرفاته أنه كان يعتقد أن إعلان الإسلام ونشره في الأوساط الحبشية ربما يكون تحد لمشاعر الرهبان والقساوسة كما حدث يوم أسلم وبالتالي يشكل معضلة بالغة الخطورة، وعقبة كأداء تضر مستقبل الإسلام.

لأجل هذا اختار التريث والأناة، وكسب مزيداً من الوقت لكي يتمكن من إعلاء شأن الإسلام أكثر مما فعل من ذي قبل.

ولعل هذا الأسلوب هو الأنسب لمثل ظروفه وظروف شعبه، ومع هذا فإن لإسلام النجاشي آثاراً واضحة، ونتائج باهرة لا يمكن التقليل من قيمتها في حياته، أو التهوين من شأنها بعد مماته كنتيجة بعيدة المدى، لأن إسلامه أصبح الجسر الذي عبرت الدعوة عن طريقه أو الشمعة الأولى التي بددت الظلمات وأضاءت ما حولها، فإن كانت النتائج ظهرت في حياته طيبة رغم محدودية انتشار الإسلام في الحبشة إلا أن هجرة الصحابة وإسلام ملك الحبشة كان نصراً حاسماً حطم كل الحواجز النفسية أمام الدعوة في العصور التي تلت عصر النجاشي حيث اعتبر الحبشة ومنطقة ساحل البحر الأحمر المعروفة حالياً بالقرن الأفريقي بأنها أرض الإسلام اعتباراً من هجرة الصحابة وهو عامل نفسي مهم.

---

(١) الروض الأنف في تفسير سيرة ابن هشام للسيهلي، الجزء الثاني، ص ٢١٦.

الوفود القادمة من الحبشة:

قال ابن إسحاق رحمه الله تعالى: «ثم قدم على رسول الله ﷺ، وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريباً من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه، وسألوه ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن الكريم، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدموع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش، فقالوا: قبحكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل، فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم، وصدقتموه بما قال، ما نعلم ركباً أحمق منكم فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه، ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً»[1].

إن هذا اتصال رفيع المستوى بين الحبشة في الفترة المكية، وهي اتصالات تدل على أن الهجرة إلى الحبشة أثمرت ثمارها في وقت مبكر، وهذا نجاح بحد ذاته، فإبلاغ الصوت الإسلامي إلى أسماع أهل الحبشة الذين يعيشون وراء البحر، وهو ما كان المشركون يخشون منه السبب الذي دفع المشركين إلى مغامرتهم الرامية لرد المهاجرين إلى بطحاء مكة، وتحت سلطة جبابرة المشركين وأنه لأمر جدير بالملاحظة كيف أن أبا جهل وأنصاره فقدوا التوازن وثارت ثائرتهم حتى أهانوا الوفد الحبشي وشتموهم، لأن تصرفات الوفد وإظهار إعجابهم بالإسلام، وبإيمانهم بالله وبالرسول ﷺ أغاظت الجبابرة وأصابت مقتلهم.

ويقال والله أعلم: «فيهم نزلت هؤلاء الآيات: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ

---

(١) محمد بن إسحاق، السير والمغازي، ص ٢١٨، ط. الأولى، بيروت، دار الفكر، ط. غير موجودة.

مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾[1].

قال ابن إسحاق: وقد سألت ابن شهاب الزهري عن هؤلاء الآيات فيمن أنزلت فقال لي ما سمعه من علمائنا أنهن أنزلن في النجاشي وأصحابه[2] وذكرت كتب التاريخ وفداً آخر غادر الحبشة إلى الجزيرة العربية ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى هدفه، وفي هذا قال ابن إسحاق: «وذكر لي أن النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينته فإذا كانوا في وسط من البحر غرقت بهم سفينتهم، فهلكوا»[3].

وبعد عودة آخر جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ من الحبشة بقيادة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه كان معهم وفد كبير من خيرة أهل الحبشة إلى رسول الله ﷺ، وعن تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ قال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى: هم رسل النجاشي الذين أرسل بإسلامه وإسلام قومه، كانوا سبعين رجلاً، اختارهم من قومه الخير الخير، فالخير في الفقه والسن[4].

إن هذا الوفد الذي جاء مع جعفر أخباره مشهورة معلومة في كتب السير والمغازي والتاريخ والتفاسير، وأجزاء مهمة من معلومات وردت في كتب

---

(١) سورة القصص: الآيات ٥٢ ـ ٥٥.

(٢) الروض الأنف للسيهلي، الجزء الثاني، ص ١٣٥. راجع تفسير ابن كثير حول الآيات السابقة في سورة القصص.

(٣) تاريخ الملوك والأمم للطبري، المجلد الثاني، ص ١٣٢.

(٤) الدرر المنثور في التفسير المأثور للسيوطي، المجلد الثالث، ص ١٣٠، ط. الثانية عام ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٨ م، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.

الحديث الشريف، ويمكن للمرء مراجعة تفسير هؤلاء الآيات في مختلف كتب التفاسير، ليقف بنفسه على مزيد من التفاصيل المتعلقة بالوفد المذكور.

وفي شأن الوفود القادمة من الحبشة إلى الجزيرة العربية نلقي نظرة على الآيات التالية:

يقول الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[1]. قال مجاهد رحمه الله: في قوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ قال: هم الوفد الذين جاءوا مع جعفر بن أبي طالب وأصحابه رضي الله عنهم من أرض الحبشة»[2]. وأخرج ابن أبي حاتم عن عطاء قال: ما ذكر الله به النصارى هم ناس من الحبشة آمنوا إذ جاءتهم مهاجرة المؤمنين فذلك لهم»[3].

وأخرج النسائي وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم، والطبراني، وأبو الشيخ، وابن مردويه، عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، قال: نزلت هذه الآية في النجاشي وأصحابه: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾[4].

وعن سعيد بن جبير في قوله تعالى: «﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢.
(٢) الدرر المنثور، المجلد الثالث، ص ١٢٩.
(٣) المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ١٢٩.
(٤) المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ١٣٠.

﴿قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا﴾ قال: هم رسل النجاشي الذين أرسل بإسلامه وإسلام قومه كانوا سبعين رجلاً اختارهم من قومه الخير الخير، فالخير في الفقه والسن، وفي لفظ بعث من خيار أصحابه إلى رسول الله ﷺ ثلاثين رجلاً»[1].

وأخرج ابن جرير وابن إسحاق، قال: «سألت الزهري عن هذه الآية ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ قال: ما زلت أسمع علماءنا يقولون: نزلت في النجاشي وأصحابه»[2].

إن هذه الروايات المتعددة الواردة في شأن الوفود إلى الجزيرة تفيد ما يلي:

أولاً: أكدت لنا قدوم وفد كبير من الحبشة إلى المدينة المنورة رغبة منهم في اللقاء مع رسول الله ﷺ، وكانوا مع جعفر وأصحابه في رحلة العودة إلى الجزيرة العربية.

ثانياً: أوضحت لنا الروايات عدد الوفد وبأن عددهم يتراوح ما بين ثلاثين وسبعين، والمهم في هذا المقام هو اتفاق الروايات في جميع المصادر بقدوم وفد من النجاشي إلى رسول الله ﷺ وهذا أمر مهم للغاية وإنما اختلافهم في عدد الوفد، وهذا شيء غير مستغرب لأن كل راوٍ يروي بما رأى أو سمع من الثقات.

ثالثاً: إن المفسرين يذكرون عند تفسير هذه الآيات عدداً من الوفود والرسل توجهت إلى رسول الله ﷺ مما يدل على اتصالات مكثفة بين الطرفين ومتانة العلاقة في تلك الحقبة التاريخية.

رابعاً: بينت الأخبار الواردة في هذا الأمر هدف الرسل والوفود،

---

(١) الدرر المنثور، المجلد الثالث، ص ١٣٠.
راجع تفسير هذه الآيات في تفسير القرآن العظيم لابن كثير والطبري وغيرهما.
(٢) المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ١٣٨.

وذكرت أن الهدف الأساسي من تلك الرسل هو الإخبار بإسلام النجاشي وإسلام طائفة من قومه وإبلاغ ذلك رسول الله ﷺ عن النجاشي.

ولقد استقبل الوفود استقبالاً حاراً، وخاصة ذلك الوفد الذي قدم مع جعفر عام خيبر ووجد كل احترام وتبجيل من رسول الله ﷺ، مكافأة لهم وعرفاناً على جميل صنع النجاشي وأصحابه، وكسباً لمودتهم حتى يتعمق الإيمان في نفوسهم.

فعن أبي أسامة، قال: «قدم وفد النجاشي على رسول الله ﷺ فقام يخدمهم، فقال أصحابه: نحن نكفيك يا رسول الله، فقال: إنهم كانوا لأصحابي مكرمين، وإني أحب أن أكافأهم»[1].

إن هذا الوفد الكبير هو الذي رافق مع جعفر وأصحابه أثناء عودتهم من الحبشة عام سبع من الهجرة أثناء فتح خيبر، وأياً كانت بداية إسلامهم، فقد أعلنوا إسلامهم أمام رسول الله ﷺ، ولا ينفي هذا كونهم أسلموا في الحبشة وجاءوا مسلمين، بل مجمل الروايات الواردة في هذا الشأن تدل على إسلام هؤلاء في الحبشة، وإعلان إسلامهم في هذا المقام يزيدهم رسوخاً في إيمانهم، ويربطهم بالإسلام والمسلمين بصورة أكثر وثوقاً، ويقوي العلاقة بين مسلمي الحبشة ومهد الإسلام الجزيرة العربية، إذاً لا غرابة في تجديد إيمانهم، فقد فعل على ما يظهر النجاشي قبلهم، فقد أعلن إسلامه على ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ بعد المناظرة مباشرة ثم أشهر إسلامه أمام رسول رسول الله ﷺ.

ولقد ذكر الإمام النووي ما يدل على أن الذين جاءوا مع جعفر وأصحابه أسلموا في الحبشة، فقال: «ثم قدم من الحبشة هو، ومن صحبه من المهاجرين، ومن دخل في الإسلام هناك وجاءوا في سفينتين في البحر، فقدموا على رسول الله ﷺ في خيبر»[2].

---

(١) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثالث، ص ٨٧، ط. الخامسة ١٤٠٤ هـ.
(٢) الإمام النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ص ١٤٨، ط. معدومة.

إننا نجد ما يقوي قناعاتنا بأن الإسلام قد انتشر في الحبشة ودخلت أعداد من الرجال والنساء بسبب كثرة الوفود التي توجهت إلى الجزيرة العربية إلى مكة قبل الهجرة النبوية الشريفة.

وإلى المدينة بعد الهجرة، فقد روى أبو الشيخ وغيره في التفسير «عن سعيد بن جبير في هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ قال: قال الذين آمنوا من أصحاب النجاشي للنجاشي: إئذن لنا فلنأت هذا النبي الذي كنا نجده في الكتاب، فأتوا النبي ﷺ فشهدوا معه أحداً، فهذا يدل على أن للقصة أصلاً والله أعلم»[1].

إن تتابع الوفود على النبي ﷺ من قبل الحبشة وملكها خلال أربع عشرة سنة، أي منذ الهجرة إلى الحبشة وحتى قدوم آخر من تبقى في الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ في السنة السابعة يبرهن على التأثير القوي لهجرة الصحابة، وهذا التأثير ترجم عملياً من النجاشي من حيث الدفاع عن المهاجرين وتحمسه لنشر الدعوة الإسلامية بين أبناء الحبشة وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على المكاسب التي تحققت في ربوع الحبشة، ابتداء من إسلام النجاشي ودخول طائفة من أعيان الحبشة في الدين الإسلامي وليس أدل على هذا قدوم تلك الوفود التي تمثل أعلى المستويات من حيث العلم والشرف على المسلمين في الجزيرة العربية حباً لرسول الله ﷺ تارة. وبحثاً عن حقيقة الدين ونبيه ﷺ تارة أخرى، ولقد تحقق لهم ذلك الأمل والحلم الذي راودهم حتى استحقوا الثناء ونزل في حق الكثيرين منهم وحي يتلى إلى يومنا هذا وإلى يوم الدين كما قال المفسرون مثل قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، المجلد الأول، الجزء الأول، ص ١٣ - ١٤.

وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾[1].

الكتب بين النبي ﷺ والنجاشي رحمه الله تعالى:

وكان رسول الله ﷺ قد «فرق رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم دعاة إلى الله عز وجل فيما بين الحديبية ووفاته»[2].

ويفهم من هذا أن بعث الرسل إلى الدول والملوك كان ابتداء من السنة السادسة لأن الحديبية كانت في السنة السادسة واستمرت حتى وفاته عليه السلام.

لأن الحديبية كانت رمزاً لاستقرار الدولة الإسلامية، بعد تحقيق الانتصارات السياسية والعسكرية على السواء مما جعل قريشاً تعترف بالكيان الإسلامي في المدينة المنورة وحواليها، وهي فترة مناسبة لمخاطبة الملوك والأمبراطوريات العنيدة التي لا تعترف أحداً ولا تنقاد لمنطق إلا عن طريق منطق القوة. وذكر الواقدي أن ذلك كان في آخر سنة ست في ذي الحجة بعد عمرة الحديبية.

وذكر البيهقي هذا الموضوع بعد غزوة مؤتة. والله أعلم.

ولا خلاف بينهم أن بدء ذلك كان قبل فتح مكة وبعد الحديبية لقول

---

(١) سورة المائدة: الآيات ٨٢ ـ ٨٥.

(٢) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبري، المجلد الثاني، ص ١٢٨.

أبي سفيان لهرقل حين سأله هل يغدر فقال: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو صانع فيها.

وفي لفظ البخاري: وذلك في المدة التي عاهد فيها أبو سفيان رسول الله ﷺ.

وقال محمد بن إسحاق: كان ذلك ما بين الحديبية، ووفاته عليه الصلاة والسلام، ولقد رجح ابن كثير في هذا السياق، بأن بعث الرسل إلى الملوك كان في نهاية سنة ست في ذي الحجة حيث قال: ونحن نذكر ذلك هاهنا وإن كان قول الواقدي محتملاً. والله أعلم»[1].

ومما يؤيد ذلك ما أورده ابن سعد في الطبقات الكبرى بقوله: «فخرج ستة نفر في يوم واحد، وذلك في المحرم سنة سبع»[2].

فلقد «بعث النبي ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً هذا نصه:

«بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، أشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وأني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له. والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني، فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً ونفراً معه من المسلمين، فإذا جاءك فأقرهم ودع التجبر فإني أدعوك وجنودك إلى الله فقد بلغت ونصحت، فأقبلوا نصحي، والسلام على من اتبع الهدى»[3].

---

(١) البداية والنهاية، لابن كثير، الجزء الرابع، ص ٢٦٢، ط. الخامسة ١٤٠٤ هـ، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، المجلد الأول، ص ٢٥٨.

(٣) المصدر السابق، المجلد الثاني، ص ١٣١ - ١٣٢.

وكان مع عمرو بن أمية الضمري كتاب آخر من رسول الله ﷺ إلى النجاشي مما يعني أنه حمل الكتابين معاً في رحلته «وبعث ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي، فكان أول رسول، وكتب إليه كتابين يدعوه في أحدهما إلى الإسلام، وفي الآخر يأمره أن يزوجه ﷺ أم حبيبة، فأخذ الكتابين وقبلهما، ووضعهما على رأسه وعينيه، ونزل عن سريره تواضعاً، ثم أسلم وشهد شهادة الحق»[1].

وقد نقل إلينا ما دار، وحدث بين النجاشي وبين عمرو بن أمية الضمري، وكيفية مخاطبة عمرو للنجاشي حيث قاله: «يا أصمحة! إن عليّ القول وعليك الاستماع، إنك كأنك في الرقة علينا منا، وكأنا بالثقة منك، لأنا لم نظن بك خيراً قط إلا نلناه، ولم نخفك على شيء قط إلا أمناه، وقد أخذ بالحجة عليه من قبل، الإنجيل بيننا وبينك شاهد لا يرد وقاض لا يجور، وفي ذلك موقع الخير وإصابة الفصل، وإلا فأنت في هذا النبي ﷺ الأمي كاليهود في عيسى ابن مريم، وقد فرّق النبي ﷺ رسله إلى الناس، فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنك على ما خافهم عليه لخير سالف وأجر ينتظر، فقال النجاشي:

أشهد بالله أنه النبي الأمي الذي ينتظره أهل الكتاب وأن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وأن العيان ليس بأشفى من الخبر عنه، ولكن أعواني من الحبش قليل فأنظرني حتى أكثر الأعوان وألين العقول»[2].

لا يخفى علينا مدى التأثر الشديد والإعجاب الذي يفوق كل التصورات، لقد استقبل النجاشي كعادته رسول رسول الله ﷺ استقبالاً حاراً، وأبدى إكراماً ما بعده إكرام لضيفه الجديد، واعتبر كتابي النبي ﷺ هدية لا

---

(١) علي برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، المجلد الثالث، ص ٢٩٣، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) أبي عبدالله الأنصاري، المصباح المضيء، الجزء الثاني، ص ٢٢١، ط. الأولى ١٤٠٦ هـ، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان.
انظر الروض الأنف ٢/٢١١، وإنسان العيون ٣/٣٤٤.

تقاس بثمن بل اعتبر هذا فألاً وبشرى للحبشة حتى وضعهما على عينيه مظهراً سعادته وغبطته، «فلما وصل إليه الكتاب وضعه على عينيه، ونزل عن سريره، فجلس على الأرض ثم أسلم ودعا بحق من عاج[1]: وجعل فيه كتاب رسول الله ﷺ، وقال: لن تزال الحبشة بخير ما كان هذا الكتاب بين أظهرهم»[2].

إن إعلان النجاشي إسلامه أمام عمر بن أمية هو مجرد تأكيد لما سبق وأن أعلنه قبله أثناء المناظرة التي وقعت قبل الهجرة إلى المدينة، وليس إعلان الإسلام ابتداء بل تأكيداً لما سبق.

هل كتب رسول الله إلى نجاشي آخر غير أصحمة بن أبجر صاحب جعفر؟:

قال البيهقي: «باب ما جاء في كتاب رسول الله ﷺ إلى النجاشي. أخبرنا أبو عبدالله الحافظ. قال: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، قال: حدثنا أحمد بن عبدالجبار، قال: حدثنا يونس بن بكير عن ابن إسحاق قال: هذا كتاب من النبي محمد ﷺ إلى النجاشي: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، وأن محمد عبده ورسوله وأدعوك بدعاية الله فإني أنا رسوله فأسلم تسلم، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ فإن أبيت فعليك إثم النصـ من قومك»[3].

---

(١) بحق من عاج: عظم الفيل.

(٢) علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، الجزء الثالث، ص ٣٩٢.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي، المجلد الثاني، ص ٨٠٣، ط. الأولى عام ١٤٠٨ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وعن أنس رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ «كتب إلى كسرى وإلى قيصر، وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى، وليس النجاشي الذي صلى عليه النبي ﷺ»[1]. ولقد علق ابن كثير على هذا الموضوع بقوله: «فإن الظاهر أن هذا الكتاب إنما هو إلى النجاشي الذي كان بعد المسلم صاحب جعفر وأصحابه وذلك حين كتب إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الله عز وجل قبيل الفتح، فهذا الكتاب إلى الثاني لا إلى الأول، وقوله: إلى النجاشي الأصحم، لعل الأصحم مقحم من الراوي بحسب ما فهم والله أعلم»[2].

مما لا شك فيه أن هذا الكتاب يختلف في أسلوبه ولهجته مع الكتاب المشهور الذي حمله الصحابي عمرو بن أمية الضمري، كما أن في هذا الكتاب ما يشير إلى أنه موجه إلى ملك نصراني مثل قيصر الروم والمقوقس في سياقه العام ولم ترد فيه أي معلومات عن المهاجرين في أرض الحبشة أو أي علامة أخرى بين الطرفين مما يدل على أن هذا النجاشي ليس صاحب جعفر، وهذا ما تؤكده رواية صحيح المسلم في إجمالها، أما قول ابن كثير بأن كتب النبي ﷺ كانت قبيل الفتح فهذا ليس على اطلاقه فقد ثبت بأن المكاتبة إلى الملوك قد بدأت منذ نهاية السنة السادسة كما ثبت أن رسول رسول الله ﷺ إلى النجاشي المسلم قد وصل الحبشة وعاد منها في السنة السابعة نفسها علماً بأن النجاشي المسلم قد توفي في السنة التاسعة وصلى عليه الرسول ﷺ، وعلى هذا فإنه من المحتمل أن تمت الكتابة إلى النجاشي الآخر ابتداء من وفاة النجاشي المسلم وحتى وفاة الرسول ﷺ. والله أعلم.

زواج أم حبيبة لرسول الله ﷺ:

في هذا الموضوع قصص وأحاديث في غاية الأهمية تدل على قوة ومتانة العلاقات بين رسول الله ﷺ وبين النجاشي من ناحية وتلقي أضواء كاشفة

---

(١) وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٦٢٣.

(٢) رواه مسلم في جامعه الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار، المجلد الثالث، الجزء الخامس، ص ١٦٦.

على شخصية النجاشي وحياته واحتفائه لأصحاب رسول الله ﷺ من الناحية الأخرى.

لقد سبق وأن ذكرنا كتاب رسول الله ﷺ إلى النجاشي بشأن زواج أم حبيبة[1] رضي الله عنها.

تروي لنا أم حبيبة قصة زواجها من رسول الله ﷺ، تقول أم حبيبة بعد أن ساقت قصة زوجها عبيدالله الذي مات على الكفر «فأرى في النوم كأن آتياً يقول أم المؤمنين، ففزعت فأولتها أن رسول الله ﷺ يتزوجني، قالت: فما هو إلا أن انقضت عدتي فما شعرت إلا برسول النجاشي على بابي يستأذن، فإذا جارية له يقال لها أبرهة كانت تقوم على ثيابه ودهنة فدخلت عليّ فقالت: إن الملك يقول لك إن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجكه، فقالت: بشّرك الله بخير، قالت: يقول لك الملك: وكلي من يزوجك، فأرسلت إلى خالد بن سعيد بن العاص فوكلته، وأعطت أبرهة سوارين من فضة وخدمتين كانتا في رجليها، وخواتيم فضة في أصابع رجليها سروراً بما بشرتها، فلما كان العشي أمر النجاشي جعفر بن أبي طالب ومن هناك من المسلمين، فحضروا فخطب النجاشي فقال: الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار.

أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنه الذي بشر به عيسى بن مريم ﷺ.

أما بعد: فإن رسول الله ﷺ كتب إلي أن أزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله، وقد أصدقتها أربع مائة دينار، ثم سكب الدنانير بين يدي القوم، فتكلم خالد بن سعيد فقال: أما بعد فقد أجبت إلى ما دعا إليه رسول الله وزوجته أم حبيبة بنت أبي سفيان فبارك الله رسول الله، ودفع الدنانير إلى خالد بن سعيد بن العاص فقبضها، ثم أرادوا

---

(١) أم حبيبة، هي رملة بنت أبي سفيان هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيدالله بن جحش كان نصرانياً ثم أسلم، ثم ارتد عن الإسلام بدخوله النصرانية فمات على ذلك ثم تزوجها النبي ﷺ وهي في الحبشة وكانت من المهاجرات اللواتي رجعن من الحبشة في السنة السابعة.

أن يقوموا فقال: اجلسوا، فإن سنة الأنبياء إذا تزوجوا أن يؤكل طعام على التزويج، فدعا بطعام فأكلوا، ثم تفرقوا»[1].

كما أضافت إلى قصتها ما دار بينها وبين خادمة الملك وكيف أنها ردت الهدايا السابقة ورفضت أن تأخذ منها أي هدية جديدة قائلة: «عزم علي الملك أن لا أرزأك شيئاً وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه كما أمر الملك نساءه أن يبعثن أفضل ما عندهن لتوديع أم حبيبة قالت: «فلما كان الغد جاءتني بعود وورس وعنبر وزباد كثير، فقدمت بذلك كله على النبي ﷺ فكان يراه عليّ وعندي فلا ينكره»[2].

كل ذلك يعبر عن المستوى الرفيع الذي بلغت العلاقة بين المسلمين والنجاشي ويظهر ذلك من خلال تعامله مع كل حدث في كل مناسبة جديدة، وزواج أم حبيبة يبرهن على ذلك.

كتاب النجاشي إلى نبي الله ﷺ:

لقد كتب النجاشي كتاباً إلى رسول الله ﷺ جواباً لكتاب النبي ﷺ إلى النجاشي، وكان الجواب شافياً كافياً بالمقصود منه، هذا نصه: «بسم الله الرحمن الرحيم إلى محمد رسول الله ﷺ من النجاشي أصحمة، السلام عليك يا نبي الله من الله ورحمة الله وبركاته الذي لا إله إلا هو فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى عليه الصلاة والسلام، فوَرب السماء والأرض أن عيسى عليه الصلاة والسلام لا يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بعثت به إلينا. وقد قربنا ابن عمك وأصحابه فأشهد أنك رسول الله ﷺ صادقاً مصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله رب العالمين»[3].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد، المجلد الثامن، ص ٩٧ ـ ٩٨.

(٢) وكأن الصحابية الجليلة أم المؤمنين تستدل من ذلك على جواز استعمال الأنواع التي ذكرتها وهي أنواع متعددة من البخور والعطور.

(٣) علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، المجلد الثالث، ص ٢٩٤.

لقد أعلن النجاشي إسلامه أمام المهاجرين في وقت مبكر كما أسلفناه وأورد إشارة تدل على ذلك في كتابه إلى النبي ﷺ «وأسلمت على يديه لله رب العالمين» وقد ذكرت في المباحث السابقة أدلة تكفي الدلالة على هذا، ولكنه أظهر إسلامه أمام عمرو بن أمية الضمري وكأنه يدخل في الإسلام أول مرة، حين شهد شهادة الحق، «وأشهد أنك رسول الله»، ويبدو أنه يريد توكيد إسلامه وتوثيقه لرسول الله ﷺ، في الكتاب الذي أرسله إلى رسول الله ﷺ فلا يعني هذا أنه كان خارج دائرة الإسلام قبل السنة السابعة.

وإنما كل الأدلة التي سقناها عند المبحث «إسلام النجاشي» تؤكد اعتناقه الإسلام بعد الهجرة مباشرة وأعلن ذلك على الملأ بعد المناظرة التي دارت بين المهاجرين ووفد المشركين، فلا يتعدى ما يقوله هذا تجديداً لما أقر وشهد قبل ذلك بفترة طويلة.

تراجم بعض من أسلم من الحبشة؟!!

لقد نقلت إلينا كتب التراجم طائفة من الحبشة الذين أسلموا، فمنهم من عاش في الحبشة ومنهم من بقي في الجزيرة العربية وأفنى حياته فيها ومن هؤلاء.

١ ـ أبرهة جارية النجاشي:

فقصتها مرتبطة بقصة زواج أم المؤمنين، لأنها كانت تقوم بخدمة أم حبيبة، وكانت بينها وبين النجاشي، فلقد روت أم حبيبة رضي الله عنها قصة الجارية عندما تحدثت عن حياتها وحياة زوجها الذي مات نصرانياً وقصة زواجها من رسول الله ﷺ. فتذكر جانباً يخدم الغرض الذي نحن بصدده.

«قالت أبرهة لأم حبيبة: عزم عليّ الملك ألا أرزأك شيئاً وأنا التي أقوم على ثيابه ودهنه، وقد اتبعت دين محمد رسول الله ﷺ، وأسلمت لله عز وجل. وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عندهن من العطر.

قالت: فلما كان الغد جاءتني بعود وورس وعنبر وزباد كثير، فقدمت

بذلك كله على رسول الله ﷺ فكان يراه عليّ وعندي فلا ينكره»[1].

وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت الجارية: «حاجتي إليك أن تقرئي رسول الله ﷺ السلام وتعلميه أني قد اتبعت دينه، وكانت كلما دخلت علي تقول: لا تنسِ حاجتي إليك، ولما دخلت على رسول الله ﷺ، أخبرته كيف كانت الخطبة، وما فعلت مني جارية وأقرأته منها السلام، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «وعليها السلام ورحمة الله وبركاته»[2].

إن إسلام جارية النجاشي وإعلان دينها دليل عملي بتأثر حاشية الملك وأسرته بالدين الإسلامي.

٢ ــ رجل آخر لم يعرف اسمه:

عن ابن عمر رضي الله عنهما: قال: جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله ﷺ يسأله، فقال له النبي ﷺ: سل واستفهم؟ قال: يا رسول الله فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيت إن آمنت بمثل ما آمنت به، وعملت بمثل عملك إني لكائن معك في الجنة؟!!! قال: نعم، ثم قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده إنه يرى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام، وذكر الحديث إلى أن بكى الأسود ومات فدفنه النبي ﷺ ودلاه في حفرته»[3].

٣ ــ بركة الحبشية:

«كانت مع أم حبيبة رضي الله عنها تخدمها هناك ثم قدمت معها»[4].

---

(١) الإمام أبو الفرج ابن الجوزي، صفة الصفوة، المجلد الأول، الجزء الثاني، ص ٣٢، ط. الأولى عام ١٤٠٩ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) علي بن برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، المجلد الثاني، ص ٧٥٩، تاريخ الطبع معدوم.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير، المجلد الأول، ص ٨٣، ط. معدومة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، المجلد الرابع، الجزء الثامن، ص ٢٨، ط. سنة ١٨٥٣ في بلدة كلكتا صدرت دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤ ــ أبو نيزر بن النجاشي:

قدم على أبي نيزر بن النجاشي ناس من الحبشة، فأقاموا عنده شهراً ينحر لهم علي بن أبي طالب، ويصنع لهم الطعام، فقالوا له: إن الحبشة قد مرج أمرهم عليهم فانطلق معنا نملكك عليهم، وإنك ابن من قد علمت، فقال: «أما إذ أكرمني الله بالإسلام ما كنت لأفعل، فلما أيأسوا منه رجعوا وتركوه»[1].

«وذكر السهيلي أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشي، وأنهم أرسلوا وفداً منهم إلى أبي نيزر وهو مع علي بن أبي طالب ليملكوه ويتوجوه، ولم يختلفوا عليه، فأبى، وقال: ما كنت لأطلب الملك بعد أن منّ الله علي بالإسلام، قال: وكان أبو نيزر من أطول الناس قامة وأحسنهم وجهاً، قال: ولم يكن لونه كألوان الحبشة، ولكن إذا رأيته قلت: هذا رجل من العرب»[2]. رغم أننا لم نجد تراجم معظم الذين أسلموا في عهد النجاشي إلا أن إسلامه ترك آثاراً واضحة في نفوس من حوله من وزرائه وخدمه وعائلته، ولو لم يكن إسلام النجاشي راسخاً، أو لم تتوفر الأجواء المناسبة حولهم لم يكن باستطاع الخدم والأبناء إعلان إسلامهم أمام الصحابة وبالتالي، فإن هذا يدل على إسلام الملك وتشجيع أتباعه على ذلك.

٥ ــ إسلام عمرو بن العاص:

لقد كان عمرو بن العاص صديقاً حميماً للنجاشي، وكانت بينهما علاقة وطيدة تكونت عبر الاتصالات الكثيرة بين أهل مكة وبين الحبشة عن طريق التجارة كما رأينا سابقاً، وعن طريق البعثات الهادفة لتحقيق أغراض غير الأغراض التجارية، وكان لعمرو نصيب وافر من هذا وذاك، وكثيراً ما كان يأتي للنجاشي بهدايا قيمة وثمينة كما أن تردده على أرض الحبشة لأجل

---

(١) محمد بن إسحاق، كتاب السير والمغازي، ص ٢٢٠، ط. الأولى، بيروت، دار الفكر.

(٢) أبو القاسم السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، الجزء الثاني، ص ٩٤، ط. ١٣٩٨ هـ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

المحاولات الفاشلة في استرداد المهاجرين إلى الجزيرة العربية وإلى مكة بصفة خاصة أمر معروف ومشهور في التاريخ الإسلامي، وبعد جهود مضنية بذلها عمرو بن العاص لمحاربة الإسلام وأهله والتصدي له عرف طريقه إلى الله وإلى رسوله ﷺ ولكن حدوث هذا التحول من الشرك إلى الإيمان، ومن العداوة إلى المحبة لم يتم في أرض الجزيرة العربية، وإنما وقع له ذلك في أرض الحبشة في المجلس النجاشي وأعلن إسلامه أمام النجاشي.

لقد تمكن عمرو من إشهار إسلامه في السنة الثامنة أمام رسول الله ﷺ «فأسلم قبل الفتح في صفر سنة ثمان»[1].

وكان للنجاشي دور خطير في إسلامه، وفي هذا الأمر قال النجاشي لعمرو بن العاص أثناء رحلته الأخيرة إلى الحبشة عام سبع من الهجرة: «يا عمرو بن العاص كيف يعزب عنك أمر ابن عمك، فوالله إنه لرسول الله ﷺ حقاً، قال عمرو: أنت تقول هذا؟ قال: أي والله فأطعني، فخرج من عنده مهاجراً إلى النبي ﷺ فأسلم عام خيبر، وقيل أسلم عند النجاشي وهاجر إلى النبي ﷺ وقيل كان إسلامه في صفر سنة ثمان قبل الفتح بستة أشهر وكان قد هم بالانصراف إلى النبي ﷺ من عند النجاشي ثم توقف إلى هذا الوقت، وقدم على النبي ﷺ، هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة»[2].

إن الوقت الذي دار فيه الحوار وتمت المناقشة بين الرجلين كان عام سبع من الهجرة النبوية، لأن عمراً قد صادف في هذا الوقت وجود رسول رسول الله ﷺ إلى النجاشي، وهو عمرو بن أمية الضمري ومن المعلوم، بل من المتفق عليه أن قدوم عمرو بن أمية الضمري على النجاشي كان سنة سبع للهجرة لأنه انطلق من المدينة المنورة إما شهر ذي الحجة عام ست للهجرة أو

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ومعه الاستيعاب للقرطبي، المجلد الثالث، ص٣، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(٢) أسد الغابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ومعه الاستيعاب للقرطبي، المجلد الثالث، ص٣، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

شهر محرم عام سبع للهجرة أما عودته من الحبشة فقد كانت سنة سبع بلا خلاف بين المؤرخين كما سبقت الإشارة إليه.

فالقول بأنه أسلم عام خيبر، أو أسلم عند النجاشي فلا نجد اختلافاً جوهرياً بين الرأيين. لأن عمرو كان في الحبشة في رحلته الأخيرة في السنة السابعة، ونعلم أن عام خيبر كان في السنة السابعة أيضاً إذاً فكلا الأمرين وقعا في السنة السابعة، وبالتالي فإن الرواية تؤيد إسلام عمرو بن العاص في الحبشة.

أما الرواية التي قالت بأنه أسلم سنة ثمان قبل الفتح، فهذا الذي اشتهر لأنه هو وخالد وعثمان بن طلحة بايعوا رسول الله ﷺ في تلك السنة وأعلنوا إسلامهم فلا تعارض ولا تناف بين هدايته في الحبشة وبين إسلامه بين يدي رسول الله ﷺ، لأنه من الثابت أنه كان مسلماً منقاداً لله عند عودته من الحبشة، وعند لقائه مع خالد بن الوليد كما يروي لنا عمرو بن العاص نَفْسُهُ.

عن ابن إسحاق: حدثني يزيد بن أبي حبيب عن راشد مولى حبيب، عن حبيب بن أوس قال: حدثني عمرو بن العاص، قال: لما انصرفنا من الخندق جمعت رجالاً من قريش، فقلت: والله إن أمر محمد يعلو علواً منكراً، والله ما يقوم له شيء، وقد رأيت رأياً قالوا: وما هو؟ قلت: أن نلحق بالنجاشي على حمايتنا. فإن ظفر قومنا فنحن من قد عرفوا نرجع إليهم، وأن يظهر محمد فنكون تحت يدي النجاشي أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد، قالوا: أصبت، قلت: فابتاعوا له هدايا، وكان من أعجب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم، فجمعنا له أدماً كثيراً، وقدمنا عليه، فوافقنا عنده عمرو بن أمية الضمري، قد بعثه النبي ﷺ في أمر جعفر وأصحابه، فلما رأيته قلت لعلي: أقتله، وأدخلت الهدايا فقال: مرحباً وأهلاً بصديقي، وعجب بالهدية، فقلت: أيها الملك! إني رأيت رسول محمد عندك، وهو رجل قد وترنا، وقتل أشرافنا فأعطينه أضرب عنقه، فغضب، وضرب أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره، فلو انشقت لي الأرض دخلت فيها، وقلت: لو ظننت

تكره هذا لم أسألك، فقال: سألتني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس[1] الأكبر الذي كان يأتي موسى تقتله؟!! فقلت: وإن ذاك لكذلك؟ قال: نعم، والله إني لك ناصح فاتبعه، فوالله ليظهرن كما ظهر موسى وجنوده قلت: أيها الملك فبايعني أنت له على الإسلام، قال: نعم، فبسط يده، فبايعته لرسول الله ﷺ على الإسلام، وخرجت على أصحابي وقد حال رأيي، فقالوا: ما وراءك؟ فقلت: خير، فلما أمسيت، جلست على راحلتي وانطلقت وتركتهم، فوالله إني لأهوى إذ لقيت خالد بن الوليد، فقلت: إلى أين يا أبا سليمان؟ قال: أذهب والله أسلم، إنه والله قد استقام الميسم[2]، إن الرجل لنبي ما أشك فيه، فقلت: وأنا والله، فقدمنا المدينة، فقلت: يا رسول الله، أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، ولم أذكر ما تأخر، فقال لي: «يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله»[3].

«وزاد الواقدي، بأنه التقى بعثمان بن طلحة وخالد بن الوليد» وذكر ابن سعد عند ترجمة خالد بن الوليد هذه المعلومة التي تؤكد هداية عمرو بأرض الحبشة وكيف كان وضعه عندما التقى بخالد وعثمان رضي الله عنهم. يقول خالد بن الوليد: «فلما كنا بالسهل إذا عمرو بن العاص، فقال: مرحباً بالقوم، قلنا: وبك، قال: أين مسيركم؟ فأخبرنا، وأخبرنا أنه يريد أيضاً النبي ﷺ ليسلم فاصطحبنا حتى قدمنا المدينة على رسول الله ﷺ أول يوم من صفر سنة ثمان»[4].

---

(١) الناموس: جبريل عليه السلام، وفي حديث ورقة: إن كان ما تقولين حقاً فإنه ليأتينه الناموس الذي كان يأتي موسى عليه السلام.

(٢) الميسم: بكسر الميم وبعدها ياء وفتح السين، هو أثر الحسن والجمال في الشيء، ويكون المكواة ويعني هنا آثار الحق وقال المثنى:

قياماً لمن يشفى من الداء كيه ومن بين أذني كل قوم مواسمه

وهي جمع ميسم، راجع شرح ديوان المتنبي، ص ٢٥٧ ط. ١٩٦٨ م، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي، المجلد الثالث، ص ٥٩ - ٦٠.
راجع مجمع الزوائد للهيثمي ٩/ ٣٥٠، وقال: رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات.

(٤) المغازي للواقدي، الجزء الثاني، ص ٧٤٣ - ٧٤٤، ط. ١٩٦٦ م.
راجع الطبقات الكبرى لابن سعد، المجلد الرابع، ص ٢٥٢.

وهذه المعلومات تؤيد كون عمرو قد اهتدى في الحبشة في السنة السابعة ويبدو أنه لم يضيع أي وقت بين هدايته وإشهار إسلامه أمام الرسول ﷺ حيث لم يعطنا عمرو أي أخبار غير ما ذكر في رحلته التي انطلق من الحبشة وكأنه لم يعرج حتى على بلدته مكة.

إن إسلام عمرو بن العاص على يدي النجاشي مفخرة عظيمة للنجاشي من ناحية، ومكسب كبير له في أجره، ودليل قوي على قوته ورسوخ إسلامه، وإن إسلام النجاشي لم يكن مجرد إيمان ظاهري، وإنما الإيمان حول شخصيته إلى داعية مؤثر يواجه أقوى الشخصيات بالحجة والعلم لكي يقنعه على حقيقة الإسلام وصدق نبي الإسلام، إن عمرو فر عن الإسلام ودعوة الإسلام حتى قدم إلى الحبشة كرَاهِيَةً للإسلام، فقيض الله له ناصحاً أنار له الطريق ورفع عنه حجب الظلام، حتى غيّر الله حاله إلى حال جديد أصبح من كبار الصحابة رضي الله عنهم حتى قال عنه رسول الله ﷺ: «أسلم الناس وأمن عمرو بن العاص»[1].

وقال عليه السلام: «رحم الله عمرو إن له عند الله خيراً كثيراً»[2].

وهذا دليل آخر يدحض أقوال المشككين الذين يروجون الأكاذيب والأباطيل محاولة منهم لأجل إخفاء نور الحق الذي سطع على الحبشة في الهجرة الأولى حتى أسلم ملكها ودعا إلى الله عز وجل مما يبرهن على النجاح الكبير الذي حققته الهجرة إلى الحبشة، والثمار التي أنتجتها. وتلك معالم بارزة لا يمكن نسيانها أو إهمالها في التاريخ الإسلامي، وستظل تحدياً ماثلاً أمام المبطلين دوماً وتزكية تعبر مدى صدق النجاشي وعزيمته وقوة تأثيره رحمه الله تعالى.

---

(١) سير أعلام النبلاء لابن سعد، المجلد الرابع، ص ٢٥٢.

(٢) المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ٦٥.

قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات وأحد أستاذي الطبراني ثقات. فجمع الزوائد ٣٥٢/٩.

الدروس المستفادة:

إن العلاقة بين النجاشي وبين عمرو بن العاص علاقة وثيقة جداً، ويمكن القول بأنها متميزة بعض الشيء حتى أن النجاشي «كان يجلس عمراً على سرير الملك»[1]. ويقول له: «يا صديق أهديت لي من بلدك شيئاً»[2] وكان يرحبه بمثل هذه العبارات: «مرحباً وأهلاً بصديقي»[3]. ومع تلك العلاقة التي تلاحظ من الجمل والعبارات السابقة إلا أنها لم تثن النجاشي عن الوقوف أمام الظلم وإن كان مصدره من صديقه، والدفاع عن الحق والحقوق وإن أدى هذا إلى أن يتحدى صاحبه، ويكون خصماً له إحقاقاً للحق الذي يجب الدفاع عنه والانقياد بمقتضاه لأن ما سواه باطل. يقول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[4].

وبلغ عدل النجاشي وكراهيته للظلم أنه سدد ضربة موجعة إلى عمرو بن العاص تمنى لو انشقت له الأرض، ولعل تلك الوقفة البطولية وتسديد الضربة المناسبة هي التي أعادت عمراً إلى وعيه وإلى الصواب حتى شهد شهادة الحق، وقفل راجعاً إلى الجزيرة العربية متيمماً إلى المدينة المنورة حيث الرسول ﷺ وصحبه ليقف أمام محمد بن عبدالله النبي الأمي الذي طالما حاربه وتحداه ونصب له شباك المؤامرة، خاشعاً مستسلماً مصغياً إليه يطرق رأسه نحو الأرض لا يستطيع أن يملأ عينه من رسول الله ﷺ حياءً وتعظيماً له قائلاً: «يا رسول الله أبايعك على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، فقال رسول الله: «يا عمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله»، فقد قال عمرو: يا رسول الله أبايعك أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي، قال: «إن الإسلام

---

(١) تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي «السيرة النبوية»، ص ١٨٨ - ١٨٩.
(٢) سير أعلام النبلاء، المجلد الثالث، ص ٥٩.
(٣) سير أعلام النبلاء، المجلد الثالث، ص ٥٩.
(٤) سورة يونس: الآية ٣٥.

والهجرة يجبان ما كان قبلهما» قال: «فوالله إني لأشد الناس حياء من رسول الله ﷺ فما ملأت عيني منه ولا راجعته»[1].

ومهما يكن فإن تاريخ عمرو متصل بتاريخ النجاشي وبأن هدايته تذكر كلما ذكر الحبشة والنجاشي فرضي الله عن عمرو ورحم الله النجاشي.

فلو لم ينتج عن الهجرة غير إسلام النجاشي وعمرو بن العاص لكان يكفي بالهجرة نجاحاً وانتصاراً.

(١) المصدر السابق، المجلد الثالث، ص ٦٠ ـ ٦١.
وأخرجه أحمد في المسند ٤/٢٠٤. ورواه مسلم في صحيحه، ص ٦٠.

obeikandl.com